خطب شهر ذوالقعدة

بناء بيت الله الحرام

تعظيم بيت الله الحرام

حول الحج

الحج والزيارة

بناء بيت الله الحرام

الحمد لله الذى جعل البيت مثابة للناس وأمنا، وأمر الخليل إبراهيم وسيدنا إسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الغر الميامين، ورضى الله تبارك وتعالى عن سائر الصحابة أجمعين، والتابعين وتابعى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] قيل أن أول من بنى البيت الحرام الملائكة وقيل سيدنا آدم وأرجح الأقوال أن الذى بناه سيدنا إبراهيم الخليل ومعه سيدنا إسماعيل عليهما السلام، فعندما أمر الحق تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم ببناء البيت، انطلق ومعه سيدنا إسماعيل، ولا يدريان أين البيت، حتى أتيا مكة، فأرسل الحق سبحانه وتعالى (السكينة) وهى ريح وتسمى (الخجوج) لها جناحان ورأس، على صورة حية، فكشفت لهما عن مكان البيت، وفى رواية أخرى، أن هذه الريح قد نادت سيدنا إبراهيم وقالت: ابنى على ظلى، ثم شرع سيدنا إبراهيم فى بناء البيت، ومعه سيدنا إسماعيل يناوله الحجارة، ويقول سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فيبكى سيدنا إسماعيل ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك؟!! ثم أخذ البناء فى الارتفاع، فوقف خليل الرحمن على حجر، وجعل سيدنا إسماعيل يناوله الحجارة، ولما انتهى من البناء، كان الحجر قد لان وغاصت أقدام سيدنا إبراهيم فى الحجر حتى اخمص قدميه عليه السلام، ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته اللامية:

وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وعن سيدنا أنس بن مالك ﷺ قال: (رأيت المقام ويقصد الحجر، فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم)[2] وذلك من باب التبرك بآثار أقدام سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام؟ فنزل قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[3] فجعل رسول الله ﷺ المقام أو الحجر بينه وبين البيت وصلى ركعتين.[4]

---

[1] البقرة ١٢٧

[2] ذكره ابن كثير فى تفسير قوله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وذكره أيضا عمدة القارى شرح صحيح البخارى

[3] البقرة ١٢٥

[4] السنن الكبرى للنسائى والبيهقى وسنن ابى داود والترمذى

ثم جاء بعد ذلك تجديد بناء الكعبة، وكان النبى ﷺ قد بلغ من العمر ٣٥ عاما آنذاك، واجتمعت قريش لبناء الكعبة، ولكنهم هابوا أن يهدموها، وأرادوا تسقيفها فقط، لأنهم وجدوا أن كنز الكعبة قد سُرق، ثم وجدوه عند رجل يدعى (دويك) مولى بنى مليح بن عمرو من خزاعة، فقطعت قريش يده.

ولنا هنا وقفة قامت قريش بقطع يد السارق وكان ذلك قبل الإسلام، وليس كما يدعى الغرب أن الإسلام يحكم بقطع اليد وهذا الحكم سخرية واهانة للبشر، ولكن الإسلام أقر أحكام كانت فى الجاهلية قد أقرها الناس لإقامة العدل بينهم.

ونرجع لقصتنا .. وقيل أن نفرا قد سرقوا كنز الكعبة، ثم وضعوه عند دويك هذا، ثم هاج البحر، ورمى سفينة إلى الشاطئ، فتحطمت، فأخذتها قريش وأعدت خشبها لتسقيف الكعبة، ثم كان هناك بئر الكعبة يطرح فيه ما يهدى للكعبة، وكانت فيه حية تخرج، وتلتصق بجدار الكعبة، فإذا اقترب منها أحد كشت وفتحت فاها، فخافت قريش من أن تمس الكعبة، ولم يقتربوا منها لا بهدم أو تسقيف، وذات يوم خرجت الحية إلى جدار الكعبة، فأرسل الله إليها طائرا فاختطفها، وذهب بها، فقالت قريش: إن الله قد رضى لنا ما أردناه للكعبة، ونحن عندنا الخشب وقد كفانا الله شر الحية، فلما أجمعوا أمرهم على هدم الكعبة، قام رجل من بنى مخزوم، وتناول حجرا من الكعبة، فوثب الحجر من يده، وعاد إلى مكانه مرة أخرى، فعرف هذا المخزومى أن قريشا ستدخل فى بناء الكعبة مالا حراما، فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلا طيبا، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد.

ثم قسموا الكعبة فيما بينهم ليشرعوا فى الهدم، فقُسمت بين بنى عبد مناف وبنى مخزوم وبنى جمح وبنى قصى بن عدى، ولكنهم هابوا من الكعبة أن يهدموها، فتقدم الوليد بن المغيرة وقال: أنا أبدأكم فى هدمها، فأخذ المعول وقام إلى الكعبة، والقوم يتربصون به، ويقولون: لو أصيب الوليد لا نهدم منها شيئاً، وإن لم يصبه منها شئ فقد رضى الله عما سنصنع بها، ثم تقدم الوليد وهدم، ولم يحدث له شئ وهدم الناس معه، حتى انتهوا إلى الأساس الذى وضعه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكانت حجارة خُضر آخذ بعضها البعض، فأراد رجل من قريش أن يُدخل عتلة ما بين الحجارة لهدمها، فلم يتحرك الحجر، بل وارتجت مكة بأسرها، فعرفوا أن هذا هو الأساس وانتهوا إليه.

وفيما أخرج الإمام البيهقى فى سننه الكبرى عن سيدنا جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه قال: لما طاف النبى ﷺ ذهب إلى المقام وقال ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[5] فصلى ركعتين.

أو كما قال التائب حبيب الرحمن

[5] البقرة ١٢٥

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا رسول الله، نبى تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

وبعد أن فرغت قريش من بناء الكعبة، وانتهت إلى موضع الحجر الأسود، اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، لتنال هذا الشرف، حتى اشتد الخصام بين القبائل، حتى وصل بهم الخصام أن بنى عبد الدار أتوا بجفنة مملوءة دما ووضعوا أيديهم فيها ومعهم بنو عدى، وتعاونوا على القتال، وسُموا (لعقة الدم) ومكثت قريش على هذا الحال ما يقرب من أربع أو خمس ليال، ثم اجتمعوا، وقام فيهم رجل يقال له أبو أمية بن المغيرة، وقال: حكموا فيكم أول من يدخل من هذا الباب، فارتضوا جميعا حكم أبى أمية، فكان أول داخل هو الحبيب المصطفى ﷺ، ففرحوا وقالوا (هذا هو الأمين رضينا بحكمه) فأخبروه الخبر، فقال: هلموا بثوبٍ، فأخذ الثوب، ووضع بيديه الشريفة الحجر فيه، وقال: كل قبيلة ترفع الثوب من ناحية، ورفعوه جميعكم، فحكم بينهم بالعدل وأرضاهم جميعا، صلى الله عليك وسلم يا سيدى يا رسول الله.

اللهم متعنا بمشاهدة وجهك الكريم يارب العالمين، والصحبة برسولك العظيم، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

تعظيم بيت الله الحرام

الحمد لله المنفرد بكل صفات الكمال، والحائز لكل صفات العزة والجلال، والمهيمن على كل عادة، إليه تستند وجودات الأشياء، ومنه تنبثق ماضيات القوة والحياء والعناء، وبإرادته تصدر ما فيها من حركات، وما يلحقها من تفسيرات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، شهادة يا ربنا يقر بها العقل والقلب، ويستغرق نورها العين والأثر، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا ومولانا محمدا عبد الله ورسوله، سيد الأنبياء وأستاذ المرسلين، لاهوت الجمال وناسوت الوصال، القائل فى حديثه الشريف عن سيدنا عبد الله بن عمر ﴿من حج ولم يزرنى فقد جفانى ومن جفانى فلا نصيب له فى شفاعتى﴾[6] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، أول العابدين والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[7].

إخوة الإسلام، إن لمكة أسماء كثيرة، منها (مكة، بكة، البيت الحرام، البيت العتيق، البلد الأمين، أم القرى، القادس، المقدسة، الحاطة، الرأس، البلدة، البنية، الكعبة).

وقيل فى تسميته ببكة، لأنها تبك أعناق الجبابرة، وقيل لأن الناس يتباركون فيها، وقال قتادة ﷺ: إن الله بك بالبلد الحرام الناس جميعها، فيصلى النساء أمام الرجال، ولا يفعل ذلك ببلد غيرها.

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بالبيت العتيق، لأنه يخفى لطفه ورحمته، ويعتق فيه رقاب المذنبين، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الله تعالى قد حرم مكة قبل خلق السموات والأرض، كما فى الصحيحين عن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ﴿إنّ هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته، إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها﴾ بمعنى انّه لا يصح أن يقضى الإنسان حاجته فى خلاء مكة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم.

وقد أخرج الإمام السيوطى فى جوامعه عن سيدنا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال ﷺ ﴿إنّ إبراهيم حرم بيت الله وأمنه وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها فى مدها وصاعها بمثلى ما دعا به إبراهيم لمكة﴾.

---

[6] انظر ابن حبان فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل والدارقطنى فى العلل والدر المنثور وكشف الخفا للعجلونى

[7] آل عمران ٩٦ ، ٩٧

ومن شرف الكعبة إخوة الإسلام، أن الآمر ببنائها هو المولى الجليل، والبانى لها هو الخليل، والمعين فى بنائها هو سيدنا إسماعيل، والمهندس لها هو سيدنا جبريل عليه السلام، ولقد روى الإمام النسفى ﷺ: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما فرغ من عمارتها، قال: اللهم من حج هذا البيت من شيوخ أمة نبيك محمد ﷺ فشفعنى فيه، وقال سيدنا إسماعيل عليه السلام: اللهم من حج هذا البيت من شباب أمة نبيك محمد ﷺ فشفعنى فيه، وقالت السيدة سارة عليها السلام: اللهم من حج هذا البيت من نساء أمة نبيك محمد ﷺ فشفعنى فيه، وقالت السيدة هاجر عليها السلام: اللهم من حج هذا البيت من أرقاء أمة نبيك محمد ﷺ فشفعنى فيه.

وقيل أن هذا هو السبب فى أننا أمرنا فى الصلوات الخمس بالصلاة والسلام على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد أورد الإمام الغزالى ﷺ فى كتاب إحياء علوم الدين: أن ابن الموفق وهو أحد التابعين قال: حججت فى سنة من السنوات، فلما كانت ليلة عرفه، نمت بمنى، فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء، عليهما ثياب خضر، فنادى أحدهما صاحبه: يا عبد الله، فقال الآخر لبيك يا عبد الله، قال: أتدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة؟ قال: لا أدرى، قال: حج بيت الله ستمائة ألف، أتدرى كم قبل منهم؟ قال: لا، قال: ستة منهم فقط، ثم ارتفعا فى الهواء، فغابا عنى، فانتبهت من نومى مغموماً، وأهمنى أمرى، فلما أفضت من عرفه، قمت عند المشعر الحرام، فجعلت أفكر فى كثرة الخلق، وفى قلة من قبل منهم، فغلبنى النوم، فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما، فنادى أحدهما صاحبه، وأعاد الكلام بعينه، ثم قال: أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة؟ قال: لا أدرى، قال: وهب لكل واحد من الستة، مائة ألف وقبلهم جميعا.

ويقول حضرة النبى ﷺ ﴿من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه﴾.

أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له

الحمد لله عدد خلقه، وزنة عرشه، وملئ علمه، ومداد كلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

اعلموا أيها الأحباب أن الحج فرضه الله فى السنة السادسة من الهجرة وشرعه إلى بيته المحرم، منذ أن رفع سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل قواعد البيت.

ولقد روى الإمام النووى ﷺ أن الكعبة شرفها الله تعالى بنيت ست مرات، الأولى بناء الملائكة، والثانية بناء آدم، والثالثة بناء سيدنا إبراهيم، والرابعة بناء قريش، والخامسة بناء عبد الله بن الزبير، ثم بناء الحجاج، وهو البناء الموجود الآن مع التحديثات المستمرة.

وعن فضيلة البيت الحرام والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام يقول الإمام البخارى فى صحيحه عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ أنه ﷺ قال ﴿ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق﴾.

وفيما أخرج الإمام الترمذى عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال ﷺ ﴿من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها﴾.

إخوة الإسلام .. إن من آداب الحج وأعماله القلبية، أن تكون النفقة حلالا، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلوب وتفرق الهمم، حتى يكون الهم هماً واحداً، هو الله سبحانه وتعالى.

فاللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم وارحم الأموات، اللهم اجعل بلدنا بلداً آمنا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم أعد الحجاج سالمين غانمين راضين مرضيين يارب العالمين، اللهم حجا مبروراً، وذنباً مغفوراً، وعوداً حميداً يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

حول الحج

الحمد لله الذى جعل البيت مثابة للناس وأمنا، وأمر الخليل إبراهيم وسيدنا إسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الغر الميامين ورضى الله تبارك وتعالى عن سائر الصحابة أجمعين والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[8] فالحج فرض على كل مسلم ومسلمة لأنه الركن الخامس فى الإسلام فإذا بلغ المكلف حد الإستطاعة وجب عليه فريضة الحج وإلا سقطت عنه لعدم الاستطاعة ومن حج حجة واحدة فقد أتى بالركن لكونه صلوات ربى وسلامه عليه لم يحج إلا حجة واحدة ألا وهى حجة الوداع، وقد قال ﷺ ﴿يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أفى كل عام يا رسول الله؟ فسكت ﷺ حتى قالها ثلاثا، فقال ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم﴾ وشرط الاستطاعة إمكانية الوصول إلى الأماكن المقدسة فى أمان على نفسه وماله.

أما من ناحية تعريف الحج فهو معناه لغةً القصد إلى معظم، ومعناه شرعًا أداء أعمال مخصوصة فى زمان مخصوص ومكان مخصوص.

والقصد من إقامة شعائر الحج هو إحياء سنة سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذلك عندما سافر من الشام قاصدا زيارة مصر ونزل فى ضيافة ملكها وكان من الأشراف الساميين، أى من أولاد سيدنا سام بن سيدنا نوح عليهم السلام، ولما انتهت الزيارة زوده الملك بالهدايا والعطايا وزوجه أميرة مصرية وهى سيدتنا السيدة هاجر وقد اتجه إلى الحجاز وكانت قد أنجبت له سيدنا إسماعيل عليه السلام، فتركهما فى شعاب مكة ودعا لهما وقال ﴿رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[9] وسافر إلى الشام حيث زوجته السيدة سارة وابنه سيدنا اسحاق عليهم السلام.

ولما نفذ الماء من السيدة هاجر أخذت تبحث عن الماء جريا وهرولة بين جبلين ألا وهما جبل الصفا وجبل المروة، ولذلك كان السعى بينهما إكراما وإحياءً لعمل السيدة هاجر.

---

[8] آل عمران ٩٧

[9] إبراهيم ٣٧

وفى أثناء ذلك ضرب سيدنا إسماعيل الأرض برجله فانبعت عين ماء عذب وفار الماء حتى كاد يملأ الأرض جميعاً، فأتته السيدة هاجر مسرعة وهى تقول (زمى زمى) فهدأت العين ولذلك سميت (زمزم) فكان الشرب من ماء زمزم إحياءً أيضا لفعل سيدنا إسماعيل بضربه الأرض برجله ليشرب الحجيج من تحت قدم سيدنا إسماعيل عليه السلام.

ثم كبر سيدنا إسماعيل حتى أصبح شابا قويا وكان أول من روض الخيل وركبه، وكانت هناك قبيلة تدعى جرهم كانت فى سفر للتجارة فمرت بشعاب مكة وقد رأوا الطير يحوم هناك فعرفوا أن هناك ماء، فذهبوا فوجدوا السيدة هاجر وسيدنا إسماعيل، وبدأت دعوة سيدنا إبراهيم فى التحقق عندما قال ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ﴾ فتعرفوا عليهم وتزوج سيدنا إسماعيل من امرأة من جرهم.

ثم عاد سيدنا إبراهيم عليه السلام من الشام إلى الحجاز لزيارة أهله وكان سيدنا إسماعيل فى رحلة صيد، وزوجة سيدنا إسماعيل لم تحسن لقاء سيدنا إبراهيم، فقال لها عندما يرجع إسماعيل أقرأيه السلام وقولى له إن أباك يوصيك بأن تغير عتبة بيتك، فعندما عاد سيدنا إسماعيل وأبلغته بما قال سيدنا إبراهيم قام على الفور بإطلاق سراحها وتزوج بإخرى من جرهم.

ثم عاد سيدنا إبراهيم مرة أخرى لزيارة أهله فى الحجاز، وكان سيدنا إسماعيل أيضا فى رحلة صيد ولكن اختلف الأمر هذه المرة فاستقبلته زوجة سيدنا إسماعيل كأحسن مايكون ولاقى منها حسن المعاملة وكرم الضيافة، فقال لها عندما يرجع إسماعيل أقرأيه السلام وأوصيه أن يثبت عتبة بيته.

وفى المرة الرابعة لزيارة سيدنا إبراهيم لسيدنا إسماعيل قال له: إن الله أمرنى أن نبنى البيت الحرام، واستعانوا بماء زمزم وبالطين والحجارة فى رفع قواعد البيت، وأهبط سيدنا جبريل الحجر الأسود من الجنة فكان يساعدهما فى ترحيل مواد البناء ويضئ لهم أيضا فى الليل.

وبعد أن فرغ سيدنا إبراهيم عليه السلام من عمارة البيت دعا بدعوات فقال ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[10] ولما قال سيدنا إبراهيم ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ نزل سيدنا جبريل وأخذ بيد سيدنا إبراهيم وانطلق به إلى الصفا وقال هذا من شعائر الله، ثم إلى المروة وقال هذا من شعائر الله، ثم انطلق نحو منى، فما كان من العقبة فإذا بإبليس اللعين قائم عند الشجرة فقال سيدنا جبريل لخليل الرحمن كبّر وارمه، فانطلق اللعين من مكانه وذهب إلى الجمرة الوسطى فلما جاوزاه قال جبريل للخليل كبّر وارمه، فرمى الجمار إحياءً لفعل سيدنا إبراهيم الخليل مع إبليس اللعين.

[10] البقرة ١٢٨ ، ١٢٩

ثم أمر الحق سبحانه سيدنا إبراهيم بأن يؤذن للناس بالحج، فقال سيدنا إبراهيم: يارب إذا أذنت فكيف أُسمع من هم فى أصلاب الرجال؟ فقال: الحق سبحانه عليك الآذان وعلينا البلاغ، فأذن سيدنا إبراهيم ثلاث مرات قائلا (يا عباد الله هلموا إلى حج بيت الله الحرام) فتجلى الحق سبحانه باسمه السميع ليسمع هذا الأذان لعالم الأرواح واستمر هذا منصوبا فنزل سيدنا جبريل بصفته أمين سر الوحى وأذن كما أذن سيدنا إبراهيم، حتى أن إبليس اللعين دخل أيضا وأذن كما أذن سيدنا إبراهيم وذلك من باب قوله تعالى ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[11] ومن هنا نجد السر فى أن سائر المسلمين متفاوتون فى تلبية دعوة الحج، فنجد من يكون سفيها فيذهب للحج ويعود أكثر سفاهة، ونجد من يكون سفيها ويذهب للحج ويعود طائعا ونجد من يكون طائعا ويذهب للحج ويعود أكثر طاعة ونجد الصالحين الذين يذهبون للحج ويعودون وهم مزودين بالأنوار والأسرار.

فمن سمع نداء إبليس يكون سفيها ويذهب للحج ويعود أكثر سفاهة.

ومن سمع نداء سيدنا جبريل يخرج عاصيا مذنبا ويعود مستقيما على الطاعات والعبادات.

وأما من سمع النداء الأول لسيدنا إبراهيم فيخرج للحج ويموت فى الطريق قبل أن يصل الحجاز فيخلق الله سبحانه ملكا يحج له كل عام وتكتب هذه الحجة فى صحيفته إلى يوم القيامة.

ومن سمع النداء الثانى لسيدنا إبراهيم فيخرج للحج فى شهر رجب من منطلق الحديث الشريف الذى أخرجه البيهقى والحافظ السيوطى وابن عساكر عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه ﴿رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى﴾ فيكون الحاج فى الحرم المكى فى شهر رجب وفى شعبان يكون الحاج فى الروضة الشريفة وفى رمضان يكون الحاج فى الحرم المكى لقضاء عمرة رمضان لقوله ﷺ ﴿عمرة فى رمضان كحجة معى﴾[12] ثم يستمر الحاج حتى العشرة أيام من ذى الحجة ليؤدى فريضة الحج وهذا معنى قوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾[13] وهذا النوع يطلق عليه العارفون حجة التضعيف.

أما الصالحون فهم الذين سمعوا النداء الثالث لسيدنا إبراهيم فيذهبون للحج ليتلقوا المعارف الإلهية والتجليات النبوية، يقول الحبيب المصطفى ﷺ ﴿من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى﴾[14].

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .. ادعوا الله

---

[11] الأعراف ١٦

[12] البخارى وابن حبان وابن خزيمة

[13] البقرة ١٩٧

[14] جمع الجوامع للسيوطى وكنز العمال للمتقى الهندى

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد رسول الله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

من الناس من يعتبر زيارة الروضة الشريفة شئ على هامش الحج ولكن إذا نظرنا بعين الاعتبار نجد قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[15] وقد سن أهل المذاهب للحجيج بأنهم يستغفرون الله عند سيدنا رسول الله ليغفر لنا الله، ولذلك تقول السيدة عائشة إن استغفارنا ليحتاج إلى استغفار، بمعنى أن استغفارنا ليحتاج إلى استغفار النبى ﷺ وزيارة الحبيب نابعة من محبتنا له وقد قال ﷺ ﴿لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ويكون عترتى أحب إليه من عترته ويكون أهلى أحب إليه من أهله ويكون ذاتى أحب إليه من ذاته﴾[16] وهل نحن عرفنا أمور ديننا إلا منه صلوات ربى وسلامه عليه؟ فاللهم أمتنا على حبه وحب من يحبه يارب العالمين، اللهم متعنا بمشاهدة وجهك الكريم يارب العالمين، والصحبة برسولك العظيم، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

---

[15] النساء ٦٤

[16] انظر مسند أحمد وجمع الجوامع للسيوطى وشعب الإيمان للبيهقى

فى الحج وزيارة سيدنا رسول الله ﷺ

الحمد لله سبحانه يعلم تسبيح الحيتان فى ظلمات البحار، الحليم الذى يسدل على عباده المذنبين جميع الأستار، وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الغفار، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله الكريم المختار، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم الهداة الأخيار.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[17] ويقول سيدنا رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها) كما أخرج البيهقى بسند صحيح فى دلائل النبوة عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال (أن الحجر الأسعد ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا ما مسه من خطايا بنى آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب وما مسه من ذى عاهة ولا سقيم إلا شفى).

وكان حضرة النبى ﷺ يقبله كثيرا وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه، ثم يقبل طرف المحجن، والمحجن هى العصا المنحنية الرأس.

وفيما أخرج الإمام البخارى فى صحيحه أن سيدنا عمر بن الخطاب أيام خلافته قبل الحجر ثم قال: إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى على نشيجه فالتفت إلى وراءه فرأى سيدنا على كرم الله وجهه فقال: يا أبا الحسن ها هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات، فقال الإمام على كرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع، إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود، وهذا يفسر لنا أيها الأحباب معنى قول الناس عند استلام الحجر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك.

أيها الأحباب .. إن لهذه الأيام من البركات والخيرات والنفحات ما ليس لغيرها فقد جاء فى كتاب مكاشفة القلوب للإمام الغزالى عن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال ما من أيام أحب إلى الله العمل فيها أفضل من أيام العشرة، أى العشر الأولى من ذى الحجة، قالوا: ولا جهاد فى سبيل الله تعالى؟ قال: ولا جهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك شئ.

كما روى أيضا الإمام الغزالى عن الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة، ومن النساء أربعة، وأربعة يسبقون إلى الجنة وأربعة اشتاقت لهم الجنة.

---

[17] الحج ٢٦

أما الأيام فأولها يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه.

وثانيها يوم عرفة فإذا كان يوم عرفة يباهى الله ملائكته فيقول يا ملائكتى انظروا إلى عبادى جاءوا شعثا غبرا قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان اشهدوا أنى قد غفرت لهم.

وثالثهما يوم النحر فإذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانه فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد.

ورابعها يوم الفطر فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى لملائكته إن كل عامل يطلب أجره وعبادى صاموا شهرهم وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم أنى قد غفرت لهم وينادى المنادى يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات.

وأما الشهور فرجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

وأما النساء فالسيدة مريم بنت عمران والسيدة خديجة بنت خويلد والسيدة آسيا امرأة فرعون والسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وأما السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد ﷺ سابق العرب وسيدنا سلمان الفارسى سابق الفرس وسيدنا صهيب سابق الروم وسيدنا بلال سابق الحبشة.

وأما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسيدنا سلمان الفارسى وسيدنا عمار بن ياسر وسيدنا المقداد بن الأسود.

ذكره حجة الإسلام الإمام الغزالى فى مكاشفة القلوب.

أيها الأحباب .. إن من أوجب واجبات الحج زيارة الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فلا يوجد بعد مكة بقعة أفضل من مدينة سيدنا رسول الله ﷺ لأن الأعمال فيها مضاعفة حيث يقول سيدنا رسول الله ﷺ (صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف فى سواه إلا المسجد الحرام).

فأفضل بقاع الأرض على الإطلاق ثلاث هم المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى حيث أخرج البخارى عن سيدنا أبى هريرة أن النبى ﷺ قال (لا تشد الرحال إلا لثلاث المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى).

وقد فهم البعض أن هذا الحديث يدل على تحريم زيارة قبور الأولياء والصالحين وأهل البيت الأكرمين ولكن كما ذكر البخارى من إن المنع فى لا تشد الرحال ليس للتحريم وإنما لإظهار فضل وشرف هذه المساجد الثلاث حيث إن الزيارة مأمور بها فى قوله ﷺ (كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تتقولوا هجرا) وقد قال ﷺ ﴿من زار قبرى وجبت له شفاعتى﴾ وقال أيضا ﴿من حج ولم يزرنى فقد جفانى ومن جفانى فلا نصيب له فى شفاعتى﴾.

أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له

الحمد لله الذى بحمده يصدر كل خطاب وبفضله ينعم أهل النعيم من دار الجاه والثواب وباسمه يشفى من كل داء وبه يرفع البلاء وإليه ترفع الأيدى بالضراعة والدعاء فى الشدة والرخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

اتقوا الله وشمروا عن ساعد الطاعة فى هذه الأيام المباركات ولنا فى سيدنا رسول الله ﷺ والسلف الصالح الأسوة الحسنة والقدوة الناجحة، فقد ورد أن النبى ﷺ كان يزور أهل البقيع وشهداء أحد وكانت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها كما جاء فى صحيح السنة كانت تزور قبر سيدنا حمزة كل جمعة.

وقد حج السيد أحمد البدوى رضي الله عنه وزار الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وخرج منها فقابله أحد الخوارج والمنكرين وقال له ماذا أعطاك محمد؟ فنظر السيد البدوى ثم رجع إلى الروضة الشريفة وأنشد يقول:

إن قيل زرتم بما رجعتم يا أكرم الخلق ما نقول

فرد عليه المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه:

قولوا رجعنا بكل خير واجمتع الفرع بالأصول

قولوا رأينا الحبيب حقا يا سعد من شاهد الرسول

رد علينا السلام جهرا يا فوز من خاطب الرسول

وقال أهلا بوفد ربى وقد منحنا ذاك القبول

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم وارحم الأموات، اللهم اجعل بلدنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، اللهم اجعله بلدا آمنا مطمئنا، اللهم جنب بلدنا الوباء والبلاء والغلاء والفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أعد الحجاج سالمين غانمين وحجهم مبرور وذنبهم مغفور يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.